وهكذا استمرت خصوصيات الرؤى مطروحة لديهم على نحو اكتملت صورته - أو كادت - فيما أضافوه إلى شكل القصيدة العربية (النمطى) منذ آثروا نظم المقطوعات أو أكثروا من نظم قصائد بلا مقدمات على مسرح الحياة الفنية إيثارهم لتجاوز الموضوعات التقليدية بين مدح وهجاء ورثاء وغزل لتتحول المواقف لديهم إلى أحاديث بطولية ومغامرات فروسية ، وقصص للغزو وصور من الفرار ، وكأنها تتمحور بصدق وواقعية فى إطار عالمهم الذى نأوا به عن منهج أبناء القبائل فى كل الأحوال .

ثم تظل الحقيقة المؤكدة أن الصعاليك لم يستطيعوا صياغة معجم شعرى خاص بهم ، ولا هم تمردوا على معارف العصر ومعطيات البيئة على المستوى اللغوى ، فهم فى كل الأحوال أبناء بيئة يخضعون لسياقها العام وينضوون تحت مقومات معجمها اللغوى ومعطيات التصوير ، وإن غلبت عليهم نزعة البداوة ووحشية الأداء ، ولكنها كانت لغة غيرهم أيضا من شعراء نفس العصر، كل ما هنالك أنهم استطاعوا - تلقائيا- تطويع المعجم إلى حيث يشاؤون من خصوصية توجهاتهم فى طرح الرؤى والأفكار وسبل العيش ومناهج الحياة فحسب . ثم تستمر المفارقات وتمتد لديهم على المستوى الفنى ، كما كانت على مستوى الرؤى والفلسفات الخاصة ، فإن وجدنا تشابها بين منطقهم القصصى - مثلا - وبين منطق شعراء القبائل فسرعان ما تفترق الطرق وتبين الفواصل ، وتتباعد الاتجاهات خاصة إذا تراءت لنا قصصية الشاعر الجاهلى مرتبطة بمنظومة الحياة الجاهلية التى يسترخى فى تصويرها ، ويطول نفسه الشعرى بين التفاصيل والجزئيات ، حتى نستطيع تتبع خطاه بين أحداث وشخصيات وحركة و بيئة ، وعقدة ، وحوار وحل ، وهو ما يمكن أن نتأمله بهدوء وتأن فى عالم شعراء القبائل ، على عكس ما يلقانا أو نلقاه من إيثار لذلك اللمح الموجز والعرض الخاطف الذى يبدو أشد كثافة فى عالم الصعاليك ، والذى مالوا من ورائه إلى توجه واحد يجمعهم و يلتقون فى ساحته ، فيه أقاصيص فرار إن